

## تحطيم الأعلام السابقين هوس شجعت عليه الإنترنت

## التناول على الأدباء القدامى وتحقير مآثرهم ظاهرة خطيرة



اعتداء على الماضي (لوحة للفنان بسيم الرئيس)

ونسعى للتحقير من مآثرهم بالعداوى والهذر العقيم، فهذا في متناول كل شخص، ولكن من الصعب أن نبلغ مبلغهم لأن ذلك رهين موهبة، والموهبة لا تباع في سوق الخردة، لو يعلمون.

الأموي الكئيب بن زيد الأسدي، وكان إذا قال قصيدة صنع لها خطبة في القضاء عليها، ورد بعد إنشادها: "أي علم بين جنتي، وأي لسان بين فكّي". من سهل أن نتناول على الفحول

فينشر "نصاً" يقدمه بنص في مدح نفسه، والإشادة بموهبته، على غرار الشاعر المخضرم كعب بن زهير، وكان إذا أشد شعراً قال لنفسه: "أخسنت وجاورت والله الإحسان!" أو الشاعر

الأثر الفني له تفرد غير قابل للتعويض، في حين أن صاحب الاكتشاف العلمي متعاضد، أي يمكن أن يحل محله شخص آخر، سواء من عصره أو من العصور التي تليه، لأن وجود الاكتشاف العلمي سابق لوجود صاحبه، الذي يُخرجه من طور الكائن بالقوة إلى طور الكائن بالفعل، أما العمل الفني فلا وجود له قبل صاحبه.

ثم هل يكفي أن نردد بيت المعري "وإني وإن كنت الأخير زمانه/ لا يتبعني ما لم تستطع الأوائل" كي ندعي أننا سنفتح في مجال القول أبواباً غير مطروقة وينتكر أسلوباً غير مسبوق؟ وهل يكفي أن نثور على أعلام الأدب الغابرين بدعوى أنهم "أصنام" ينبغي تحطيمها كي يخلو لنا الجو فنيض ونفرح ما نحسب أنها فتوحات؟

## نصوص الأعلام هي جزء من تراثنا احتفظت بها الذاكرة لأنها تميزت في ظرفها التاريخي بعناصر فنية مبتكرة

مثل هذه الظاهرة لم يخل منها عصر، ولكنها كانت محدودة في فضاء ضيقة، ويتداولها مؤرخو الأدب وكتاب الأخبار كنوادير يروحون بها نفوس قرائهم بين الفصل والآخر. بيد أنها أخذت أبعاداً كبيرة بظهور الإنترنت وانتشار المواقع الإلكترونية، ومنتديات وجمعيات ورابطات رقمية لا تكتفي بنشر محاولات متهافنة لا يملك كاتبها موهبة ولا زاداً معرفياً، بل تغدق على أصحابها شهادات وجوائز ورقية مبهورة بتوقيع المشرفين عليها، وويل لمن أبدى رايه في ما يكتبون، لأنه سيجد نفسه أمام فيالق تتكلم بصوت واحد وتزعم أن منتقدها هو من عبدة "الأصنام" ومن يوصد في وجوهها الأبواب، ويرفض "الأدب الحق".

وكم مرة صادفنا نصاً متعجراً، لا ندري إلى أي جنس ينتمي، تتكسد فيه داخل حدود إسرائيل. حياة الفلسطينيين وبعض الشخصيات اليهودية الإسرائيلية تبدو على نوع من التذبذب بين الصدام، وهو ما نراه مثلاً في مدامه الشرطيين لغتيات جالسات في زهرة، وبين الوفاق وهو ما نراه في الحوارات بين سائق التاكسي وزبائنه من العرب.

تستوقفنا في المشهد الثقافي ظواهر عجيبة، أبطالها أدياء يتراخون بين من يروم الثورة على الثوابت، وهذا من حقه، ولكنه لا يحمل بين يديه سوى معاول لهم ما أسسه السابقون؛ وبين من تضحمت أناه إلى درجة صار معها يلغي السابقين بجرّة قلم، ويدّعي أنه الأصل والمبتدأ، وما عداه عديم القيمة.

أنها أساسية في تكوين طلاب المعرفة على اختلاف أعمارهم، إما كونها تعبر عن تساؤلات إنسانية كونية، أو أنها مثال للأساليب البليغة التي ينبغي أن يستأنس بها الطالب لتقويم لسانه وتهذيب أسلوبه واتخاذها مرجعاً في اللغة، أو أنها وثيقة تاريخية تعكس العادات والتقاليد والقيم التي كانت سائدة في مرحلة ما، بشكل يدعم التاريخ وربما ينافس ويفوق عليه، لاهتمام النصوص الأدبية بتفاصيل وطرائف وفئات من السكان لا تحفل بها في الغالب كتب التاريخ.

ولا ننسى أن أمة من الأمم تتمرد على كتابها الغابرين كما تفعل، أو تلغي حضورهم في المناهج المدرسية بدعوى أنهم استهلكوا، أو أن الأسئلة التي طرحوها والمواضيع التي عالجوها عفا عليها الزمن، فيوالو وميرايو وماريو وراسين وكورنابي فضلاً عن الأسماء الأكثر توهجاً مثل فيكتور هوغو وفولتير وزولا وفلوبير وبودلير ومالارمي لا تزال نصوصهم تتصدر مناهج التعليم في فرنسا، لم يلغها تقادم الزمن، ولم يدع حتى المتطرفون إلى استبدالها، وإن كانت القائمة غير منغلقة، بل هي مفتوحة تستقبل الأسماء اللاحقة مثل كامو وسارتر واندري جيد وسان جون بيرس وروني شار وغيرهم.

ويخطئ من يزعم أن بعض أساتذته حثوه على التمسك، لأن السواد الأعظم منهم لا ينظر نظرة رضا إلى من يخالف دروسه، إلا في القليل النادر، وخير الطلبة عنده هو الذي يرد إليه بضاعته، والويل لمن أراد الاجتهاد فحاذ عن الصراط.

## السبق الواهم

الفئة الثانية من المتطاولين لا تقنع بالتعبير عن ضرورة "تحطيم الأصنام"، بل تزعم أن ما كتبه يتجاوز ما كتب منذ العصور القديمة، من امرئ القيس إلى شوقي، ومن الجاحظ إلى نجيب محفوظ، وهي تجهل أن المدونة الأدبية تراكم، وأن التجاوز يصح في العلوم الصحيحة ولا يصح في الإبداع الأدبي، وأن الإضافة هي قصارى ما يطمح له هذا المبدع أو ذاك. يقول الكاتب والعالم فرنسوا جاكوب الحائز على جائزة نوبل للطب "فئة فارق جوهرى بين الفن والعلم، وهو أن

أبو بكر العيادي  
كاتب تونسي

من الظواهر الشاذة في ساحتنا الثقافية هوس التطاول على أعلام كبار نشأنا على أدبهم واقتدينا بأساليبهم قبل أن يحفر كل واحد منا مجراه، دون أن ينكر فضل السابقين في تكوينه. وحجة المتطاولين هي معارضة آراء المتقدمين والمتأخرين من أساتذة الأدب ونقادهم ومؤرخيه بهدف تحطيم من يعتبرونه أصناماً فرست على أجيال متلاحقة في شتى مراحل الدراسة، دون أن يكون لتلك "الأصنام" ما يسوغ استمرار حضورها إلا كما يزعمون، ويتناسون أن نصوص أولئك الأعلام كتبت في مرحلة غير مرحلتها، ومجتمعات لا تشبهنا كثيراً، لها نمط من العيش مغاير، وعقلية مختلفة، ووسائل غير التي نستخدمها اليوم، ورهانات تخالف رماناتنا.

## تطاول وتشويه

نصوص الأعلام هي جزء من تراثنا، وإن احتفظت به الذاكرة فلأنها تميزت في ظرفها التاريخي بعناصر فنية مبتكرة وعبرت الحدود الجغرافية لتلامس طلاب المعرفة في زمن غير زمانها. ومن ثم لا يجوز النظر إليها بمنظار الحاضر وأدواته، بل ينبغي دائماً تنزيلها في عصر مُنشئها وبيئته.

هي لم تكن مجرد حدث في فضاء ثقافي معين، بل كانت في عصرها رمزا للتغيير، تغيير الذائقة والتلقي والعقلية، وأداة لخلق طرق جديدة في التفكير والرؤية والإقامة في العالم. فإذا الغينا ذلك الإرث نكون قد حرمانا أنفسنا من فهم محطات بارزة من المسيرة التي مر بها العالم في تطوره المتواصل، ومن الركائز الأدبية التي يمكن أن نستند إليها لكتابة الحاضر والمستقبل.

إن النصوص الأدبية التراثية، القريب منها والبعيد، يمكن أن ننظر إليها من جهة السبل التي توصلت بها ثقافة ما للإجابة عما طرح عليها من أسئلة، والأساليب التي صاغت بها تلك الأسئلة، ومن جهة الأهمية التي حازتها في مرحلتها. ومن الطبيعي أن يتم اختيار أهم النصوص، أو ما يعتقد الساهرون على الشأن التربوي

## الصوفية في الأردن.. أسرار وأحوال

الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، الأكاديمية سارة عباينة، قراءة حول تاريخ الأردن الصوفي من خلال تجربة الباحثة، منطوقة إلى تجارب من التصوف النسوي. وأشارت إلى أن الكتاب يحتوي على العديد من القصص التي تقدم نظرة ثاقبة عن التاريخ الأجنبي الصوفي والذي لم يُبحث فيه كثيراً من قبل.

ويبين الكاتب والصحافي علي عبيدات أن الباحث قدم على هامش توبيخ وتفصيل الأسماء والطرق والزوايا، جملة من مصادر التلقي واصطلاحات المعجم الصوفي.

واستعرض مدير برامج مؤسسة فريدريش إيبيرت في عمان، يوسف إبراهيم، المجالات والمشاريع التي تعمل عليها المؤسسة منذ السبعينات والثمانينات. وقال الكاتب والباحث في شؤون الحركات الإسلامية، حسن أبو هنية، إن أبوهمان أضاف في كتابه موضوع تحول السياسات الدينية، بعد الربيع العربي، وهو التصوف.

يشار إلى أن الكتاب جاء ثمرة تعاون الكاتب أبوهمان مع مؤسسة فريدريش إيبيرت الألمانية.

عمان - احتفت مؤسسة عبد الحميد شومان ومكتب مؤسسة فريدريش إيبيرت الألمانية، أخيراً، بإشهار كتاب "أسرار الطريق الصوفي" لوزير الثقافة ووزير الشباب السابق الباحث محمد أبوهمان، في منتدى عبد الحميد شومان الثقافي، عبر تطبيق الاتصال عن بعد (زوم) وصفحة المؤسسة على منصة فيسبوك.

وفي الاحتفالية التي أدارها الباحث خليل الزبود، لفت أبوهمان في حديثه عن الكتاب، إلى ندرة المراجع والكتب التي توثق التراث الصوفي في الأردن، مشيراً إلى أن معظم التراث الصوفي هو تراث شفهي غير مكتوب.

وبيّن أن فكرة الكتاب جاءت من خلال دراساته في الحركات الإسلامية، ليس على صعيد الأردن وحسب بل على المستوى الإقليمي والعالمي لتسليط الضوء على المشهد الصوفي في الأردن.

وبحسبه، فإن المحفز الأكبر لإعداد الكتاب، كان نتيجة الملاحظة خلال السنوات السابقة أن ثمة مؤشرات على موجة صوفية صاعدة في العالم العربي والعالم الإسلامي. وقدمت رئيسة وحدة الدراسات السياسية والاجتماعية في مركز

## مسرحية «طروف» مقارنة مختلفة للقضية الفلسطينية

"عرب الداخل" أو "فلسطينيو 48" وهي التسميات الشائعة في العالم العربي للعرب الفلسطينيين الذين يعيشون داخل حدود إسرائيل. حياة الفلسطينيين وبعض الشخصيات اليهودية الإسرائيلية تبدو على نوع من التذبذب بين الصدام، وهو ما نراه مثلاً في مدامه الشرطيين لغتيات جالسات في زهرة، وبين الوفاق وهو ما نراه في الحوارات بين سائق التاكسي وزبائنه من العرب.

خطاب العمل المسرحي بلا ملامح واضحة، وربما هذا ما برر عنوانه بـ«طروف» لتجنب تقييمه على أساس بناءه الدرامي الغائب، كما أن الموضوع الذي يخوض فيه العمل شائك للغاية، وربما هذا مبرر ثان لتجنب الوضوح في الخطاب.

خطاب العمل المسرحي بدوره متذبذب بلا ملامح واضحة، وربما هذا ما برر عنوانه بـ«طروف» لتجنب تقييمه على أساس بناءه الدرامي الغائب، كما أن الموضوع الذي يخوض فيه العمل شائك للغاية، وربما هذا مبرر ثان لتجنب الوضوح في الخطاب. ونذكر أن المسرحية من إنتاج مركز الفنون الدرامية والركحية بنابل بالتعاون مع فضاء الارتستستو والمجلس الثقافي البريطاني، وهي من تمثيل كل من ناجي الفتواي ومحمد حسين قريع وأمينة الدشاوي وشاكرة رماح ومأمون الشيخ.

الشخصيات كثيرة في العمل، ومتنوعة أغلبها بلا أسماء، أما البقية فكل منها يؤدي مشهداً، مثل البائع الذي يحاول أن يتدبر تصريحاً للعبور من غزة إلى الضفة الغربية للتجارة، ومثل مجموعة المهزبين لمواد غذائية ومحروقات إلى قطاع غزة المحاصر.

كثيرة هي التفاصيل التي يقمنا فيها العرض وكثيرة هي الشخصيات، نجد إحياءات كثيرة مثل المرأة الإسرائيلية من أصل تونسي وعلاقتها بالموسيقى التونسية، ولقاؤها بامرأة أخرى يتبين أنها حفيدة المغني التونسي الهادي الجويني، دون أن تعرف أن جدّها مغن وموسيقي مشهور في تونس وخارجها. نجد مقطعاً آخر يحكي فيه معمر فلسطيني من مواليد عشرينات القرن الماضي عن التهجير الذي تعرض له الفلسطينيون، وتجد رجلاً آخر قادماً إلى تل أبيب يريد الوقوف على أطلال قريته التي تبعد أكثر من مئة كيلومتر، احتفاء بيوم الأرض، وفق ما تسمح به سلطات الاحتلال.

العمل في جملته مركب ولهذا ربما سماه مخرجها باسم "طروف" وتعني الأجزاء. يمكن تركيب الأجزاء والشخصيات لصناعة سردية متشابكة حول النكبة الفلسطينية وما تعرض له الشعب الفلسطيني طيلة هذه السنوات. الجديد في العمل أنه لم يتناول القضية الفلسطينية من باب المقاومة التقليدية، بل توغل في حياة فلسطينيي الداخل أو ما يسمون بـ"عرب 48" أو

المحتلة وفي غزة وفي الضفة الغربية. السينوغرافيا التي اختارها مخرجاً العمل تتمثل في ميكروفونين على جانبي الرجح وصناديق المشروبات الغازية في الخلفية، ما يوحي بمسألة البيع والشراء، وهو ما تتعرض له القضية الفلسطينية منذ سنوات، من الداخل والخارج.



شخصيات متنوعة وواقع واحد